المؤلف الموسيقي: جورج بيزيه

١٨٣٨-١٨٧٥

ملحن اوپرا كارمن

اخرجت لاول مرة على مرسح الاوپرا كوميك بپاريس ولم تثر اهتماماً عند النقاد لاول وهلة ولم يدم فشلها كثيراً اذ سرعان ما انقب الى نجاح رائع وعدت من الاوپرات العالمية العشرة الاولى وظلت تلاقي اقبالاً واعجاباً كلما عرضت على مرسح عالمي.

اول اعلان عن اوپرا كارمن
في الاوپرا كوميك وتتألف من اربعة فصول

الفصل الاول

مابرحت أشك في ان الجغرافيين اخطأوا في زعمهم بان معركة «موندا» كانت في اقليم (باستيللو بيوني» الى جوار «مندا» الحالية على بضعة فراسخ من شمال (ماربلّلا).

ونظراً الى ابحاثي الدقيقة المستندة الى نصوص من كتاب (اسپانيا الجميلة) لمؤلف مجهول، واعتماداً على بعض المعلومات التي جمعتها من مكتبة (دوق اوزونا) الثمينة، قر رأيي على التنقيب في ضواحي مونتلاّ لتثبيت الموقع الشهير الذي فيه قامر القيصر بآخر ما لديه، في معركة فاصلة تجاه ابطال الجمهورية. ولهذا وجدت نفسي في خريف العام ١٨٣٠ في اندلوسيا قائماً برحلة طويلة نوعاً ما، في سبيل تبديد الشكوك التي تمت تساورني وتلازمني. ولي أمل وطيد بان الرسالة سأنشرها لن تلبث ان تبدد كل شك يقوم في عقول المؤرخين الامناء الذين لاينشدون الا الحقائق. وفي الوقت الذي تنتظر مني رسالتي حل آخر لغز حارت فيه اوربا المتمدنة، اشعر برغبة في ان اقص عليك حكاية قصيرة لن تلهيك البتة عن الموضوع الاساسي: موقع «موندا».

إستأجرت في قرطبة؛ دليلاً وحصانين. وبدأت رحلتي وليس

معي من المتاع الا بعض الثياب الداخلية ومذكرات القيصر وفيم انا اغذ السير في ارجاء القسم الاعلى من سهل «كاشينا» وقد برح بي الاعياء. واضر بي العطش ولفحت شمس الظهيرة جسمي بشواظ لاهب، وصرت ألعن (قيصر) ونسل (بومبي) واقرنهما الى الشيطان، اذْ بي اجدني وقد حدت عن السبيل واتجهت الى بقيعة خضراء تطرزها الشجيرات والحلفاء مما اشعرني باني سأصل الى غدير. وحين دنوي، وجدت ان ما توهمته ارضاً معشوشبة لم يكن في الواقع الا مستنقعاً صغيراً ينساح فيه ماء جدول بعد صدوره -على الاغلب- من فتحة ضيقة تقع بين هضبتين شامختين من هضاب جبال (دي كابرا) خيل لي اني لو تتبعت هذا الغدير لظفرت ولاشك بماء زلال تعيش فيه الضفادع والعلق وربما وقعتُ على ظل بين الصخور يقيلني ويقيني غائلة الهاجرة ولما ولجت الفتحة صهل جوادي فجاوبه في الحال صهيل جواد آخر لم اتبينه. تقدمت مائة خطوة او اكثر فاتسعت الفتحة امامي فجأة وأرتْني نوعاً من المدارج الصخرية تلقى عليها النتوءات الجبلية السامقة المحدقة بها -ظلاً وارفاً. ان المسافر لايتيسر له مقيل ادعى الى الراحة والاستجمام من هذه البقعة.

عند حافة تلك النتوءات الجبلية المحاذية للارض يتدفق الغدير صاخباً ويصب في بركة صغيرة افترشت قاعها سلاسل رملية تحاكي الثلج بياضاً. وكان ثم خمس بلوطات او ست صامدة في وجه الريح تستمد ماءها من الغدير المحاذي لها فقد كافأته بنشر

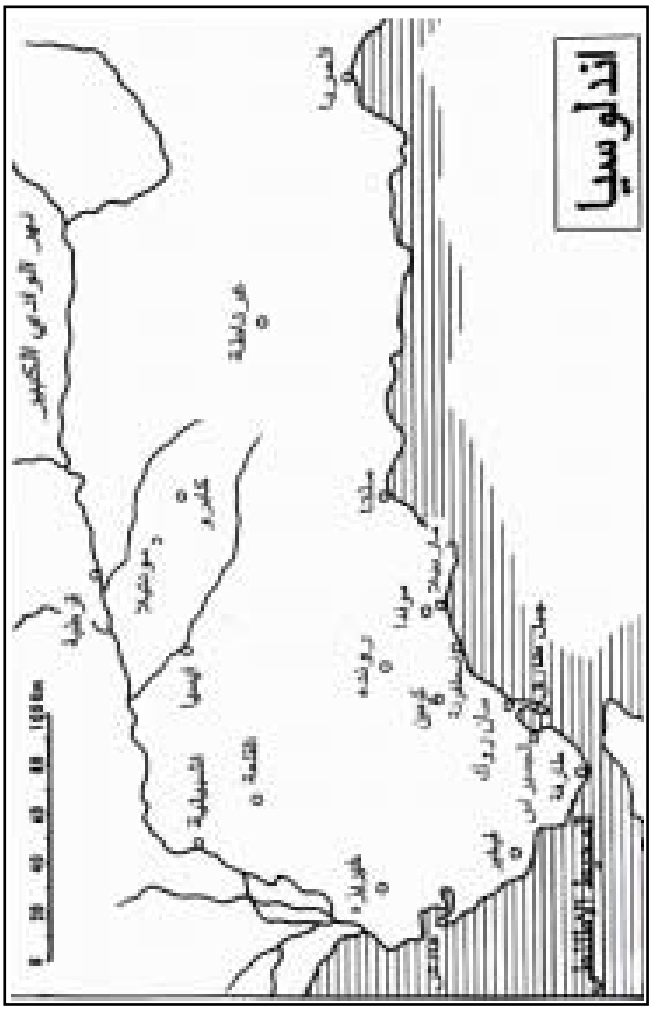

اندلوسيا (الاندلس) حيث جرت احداث الرواية

ظلها الوارف على صفحته. وحول المصب عشب صقيل أثيث يصلح فراشاً وثيراً يُزري بأي فراش تجده في الفنادق المنتشرة ضمن دائرة قطرها عشرة فراسخ من مركز هذه البقعة.

لم يكن لي شرف اكتشاف هذه البقعة فقد وجدت رجلاً سبقني اليها للراحة. كان نائماً حين وصولي، فايقظه صهيل الخيل، فهب من ضجعته وفزع الى جواده الذي انتهز فرصة اغفاء صاحبه لينال وجبة غذاء فاخرة من العشب المحيط به. وجدته فارساً في مقتبل العمر، متوسط القامة، متين الالواح، قاسي النظرات حزينها. وربما كان وهج الشمس هو الذي صهد بشرته فأحالها سمراء بعد بياض كشعره. كان قابضاً على زمام جواده بيد وعلى غدارة بيد. ولابد لي من الاقرار بان السلاح وصرامة حامله اشاعا في جسمي شيئاً من الرعدة. لكني ما عدت أومن بوجود قطاع الطرق لطول سماعي عنهم وعدم التقائي بواحد منهم فضلاً عن مشاهدتي كثيراً من الفلاحين المسالمين يذهبون الى السوق مسلحين. لذلك لم يعد السلاح الناري يسلمني الى الشك في حسن نية الاغراب. وتساءلت في سري: هل ان ثيابي الداخلية وتعليقات القيصر ذات نفع له؟ لذا حييت الرجل المسلح بانحناءة لطيفة أشفعتها ببسمة اعتذار بسبب اقلاقي راحته، فلم يجبني بشيء. واخذ يصعدني بانظاره ويتفحصني من قمة رأسي الى اخمص قدمي. وبعد ان بدت عليه علائم الرضا انثنى الى دليلي الذي كان يدنو منا وشرع يتفحصه كذلك. لحظت وجه دليلي وقد امتقع وشحب

وبدت عليه سيماء الرعب واضحة. قلت لنفسي:

- لقاء بغيض ولا شك.

لكن العناية الالهية اوحت لي ان ابطن ما اشعر به من قلق. ترجلت وأمرت الدليل بنزع السروج عن ظهور الخيل. ثم يممت صفحة الجدول وغمرت رأسي ويدي في مائه حتى نلت منه مقداراً كبيراً، وأنا مستلق على بطني وفخذي كما يستلقي جنود «جيدون» الاشرار.

اخذت انقل بصري بين الدليل والمجهول فاتضح لي ان اولهما لم يدن منا الا كارهاً، وظهر لي ان ثانيهما لم يكن ينوي بنا شراً لانه اطلق لجواده العنان ونكس فوهة غدارته وكانت في وضع التسديد. لم يدركني استياء من هذا اللقاء العدائي ولم اعر الامر التفاتة وتمددت على العشب وسألت الرجل المسلح بقلة اكتراث عن زناد نار ثم اخرجت صندوق لفافاتي. فبحث المجهول في جيبه صامتاً حتى عثر على طلبتي واخذ يقدحه ليؤرث لي ناراً. من الواضح انه بدأ يأنس اليّ بالتدريج اذ اتخذ مجلسه قبالتي لكنه لازم سلاحه.

واخترت افضل ما لديّ منها بعد ان اشعلت سيگاري وسألته هل هو من المدخنين فأجاب:

- بلي ياسيدي.

كانت تلك اولى الكلمات التي سمعتها منه ولاحظت انه لم يلفظ حرف السين (S) بالشكل الذي يلفظها الاندلسي. الامر

الذي جعلني استنتج بانه مسافر مثلي على الاقل او ربما كان ارخيولوجياً لاغير. قلت وأنا اقدم له واحدة من اجود سيگار هاڤانا الاصلية.

- بالتأكيد ستجدها لذيذة.

فبادرني باحناءة من رأسه واشعل سيگاره من نار دخينتي ثم شكرني بايماءة اخرى من رأسه. وراح يدخن بنشوة وانشراح عظيمين وهتف «آه» وهو ينفث بتؤدة من فمه ومنخريه اول نشقة من الدخان كمن مر عليه طويل زمن دون تدخين.

في اسپانيا- سيگار واحد يُعرض ويقبل، يعتبر كافياً لاقامة علاقة ودّ وضيافة كعادة المشاركة في الخبز والملح الشرقية. الا ان رجلي هذا لم يعطني دليلاً آمل منه كسب ثقته. زد على هذا انه لايمكن ان يكون من اهالي مونتلاّ وربما كان من اهالي اقليم اسوء سمعة من هذا ويبدو انه كان يجهل اسم الوادي الساحر الذي شهد لقائنا. ولم يكن بوسعه تسمية اي قرية من القرى التي هي في الجوار. واخيراً وبعد ان استفسرت عما اذا كان قد ارتاد المناطق الصخرية المتعادية في الجوار او المكتلات الصخرية الرومانية الضخمة على الحواف او المنحوتات الهجرية- أقر بانه لم يهتم مطلقاً بمثل هذه الامور. الا انه وعلى سبيل المقابلة طفق يبرهن لي على خبرته في شؤون الخيل منتقداً حصاني ولم يكن ذلك بالعسير. ثم انثنى ليصف لي عراقة جواده واصالته وقال انه ينحدر من سلالة قرطبية شهيرة. وكان كما بدا طبق ما عزا اليه

حقاً حيوان اصيل ادعى صاحبه انه قطع به مرة ثلاثين فرسخاً في يوم واحد خببا وهذبا[1] وقد لاحظت انه وفي اثناء استرساله في خطبته الطويلة كان يتوقف فجأة كالمستاء او المندهش من انسياقه الى قول الكثير ليستدرك بقوله «هذا عندما كانت اعمالي تضطرني الى الذهاب الى قرطبة» يقول هذا وهو يرسل انظاره الى دليلي «انطونيو» الذي كان يغضّ من طرفه.

الظل والنبع سحراني فعلاً، حتى اني تذكرت مقداراً من شرائح فخذ حنزير ممتازة وضعها لي اصدقائي في مونتلاّ في خرج الدليل، فجئت بها ودعوت الغريب للمشاركة في الوجبة المرتجلة. ان لم يكن قد دخن منذ فترة طويلة فقد قدرت انه وعلى اغلب الاحتمال لم يأكل منذ ثماني واربعين ساعة على الاقل. فاقبل ينهش كالذئب الجائع. فكرت في ان لقائي به كان بمثابة تدبير من العناية الالهية بهذا الشيطان المسكين.

في عين الوقت لم يصب دليلي من الطعام الا قليلاً ولم يشرب الا الاقل ولازم الصمت ولم ينطق بحرف في حين كان قد برهن لي قبل بدء رحلتنا بانه ثرثار لايشق له غبار. وبدا وكان وجود ضيفنا هذا اشاع فيه قلقاً وان هناك ريبة وسوء ظن لم ادرك كنهه يباعد ما بين الاثنين، ولم اتيقن من سببه بالضبط.

بعد ان غاب آخر قطعة من الخبز واللحم اشعل كل منا سيگاراً

١- الفرسخ يعادل اربعة كيلومترات تقريباً.

آخر وامرت دليلي باسراج الحصانين. وقبل الاستئذان من رفيقي الجديد طلبت منه ان يدلني على مبيت اقضي فيه ليلتي. وقبل ذلك لم تفتني اشارة تحذير من دليلي عندما اجبت باني اقصد فندق «ڤنتا دل كورڤو». قال الغريب:

- نزل حقير لايليق بشخص مثلك ياسيدي وانا اقصده ولو سمحت لرافقتك فسبيلنا اليه واحد.

- بكل طيبة خاطر.

ثم اعتليت صهوة حصاني.

وفي اثناء ما كان دليلي يعاونني على الركوب -قام بعمل اشارة جديدة من عينيه محذراً. فاجبته بهزة من كتفي لاكد له باني مطمئن ومرتاح جداً وليس لدي ما يزعجني وهكذا انطلقنا..

الاشارة الخفيفة التي عملها انطونيو فضلاً عن قلته وبعض التعاليل القليلة المقنعة ظاهرياً، بعض الكلمات التي افلتت من فم الشخص المجهول، كونت عندي فكرة معينة عن رفيق السفر، لم يعد عندي شك في اني اصاحب مهرباً او قاطع طريق وانا في عين الوقت كنت اعلم بالطبع الاسپاني.لك ان تطمئن تماماً من انك لن تخشى مطلقاً من رجل شاركته الطعام و الدخان. ان وجوده معي بالذات سيكون نوعاً من الحماية تضمن سلامتي من اي حدث سيء. زد على هذا اني شعرت بكثير من الارتياح لمعرفتي باني في رفقة قاطع طريق. وهو امر لايحصل دائماً، ثم ان هناك احتمال وقوع حدث خطير في طريق سهل كهذا الذي